College of Basic Education Researchers Journal. ISSN: 7452-1992 *Vol. (18), No.(4), (2022)*

CC BY

مظاهر الوحدة والتنوع بين الدولتين الأيوبية والمملوكية
-العمائر الإسلامية أنموذجا-

محمد محمود طه **فائز علي بخيت**

(قدم للنشر في ٢٠٢٢/٤/١٩ قبل للنشر في ٢٠٢٢/٥/٢٢)

ملخص البحث

شهد عهد الأيوبيين اهتماماً كبيراً بالعمائر الدينية المتمثلة في الجوامع والمشاهد والمدارس والخوانق والأربطة، وقد سارت على ضربهم الدولة المملوكية، غير أن الطابع العمراني المملوكي تميز بالزخارف الدقيقة والرخام متنوع الألوان، فكانت القاهرة المملوكية متحفاً عظيماً بحق،لذا ففي هذا المبحث نسلط الضوء على أشهر العمائر الدينية في كلتا الدولتين مع الاجتهاد في تقديم وصف دقيق لماهيتها العمرانية المتميزة في إظهار الوحدة والتنوع في هذا الجانب.

Manifestations of unity and diversity between the Ayyubid and Mamluk states - Islamic buildings as a model

Muhammad Mahmoud Taha **Fayez Ali Bakhit**

Abstract

The Ayyubid era witnessed great interest in religious buildings represented in mosques, scenes, schools, gorges, and grottoes. The Mamluk state followed them, but the Mamluk urban character was distinguished by delicate decorations and marble of various colours. So, Mamluk Cairo was truly a great museum. Hence, the study sheds light on the most famous religious buildings in both countries, with diligence in providing an accurate description of their distinct urban nature in showing unity and diversity in this aspect.

المقدمة:

تمخض عن الغزو الصليبي للشرق الإسلامي في القرن السادس الهجري /الثاني عشر الميلادي نشأة الدولة الأيوبية على يد الناصر صلاح الدين الأيوبي في مصر(٥٦٩هـ/١١٧٤م) وامتدت لتشمل بلاد الشام والحجاز واليمن,ودام حكمها تسع وستون سنة التي نهاية حكمها على يد المماليك في سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م ,وبذلك يمكن أن نعد دولة بني أيوب هي السبب إلى حد كبير عن قيام دولة المماليك في المنطقة ذاتها في منتصف القرن السابع الهجري /الثالث عشر الميلادي,والتي كان لها الدور الكبير في كثير من مفاصل الدولة آنذاك متمثلة بالنشاط السياسي والعسكري والاجتماعي والعمراني كل ذلك جاء متأثرا بالسياسة الأيوبية فضلا عن الاختلاف في بعض المظاهر التي استحدثت من قبل كلتا الدولتين,وبذلك يعدان حلقتين متداخلتين في سلسة تاريخية واحده باستثناء بعض مظاهر التنوع تأثرت للظروف الخارجية التي أحاطت بكل دولة من ناحية هذا من جانب ومن جانب أخر يعود إلى شخصية الحكام وانطباعاتهم عن الحكم من ناحية أخرى.

وهنا يتبادر إلى الذهن تساؤلات عديدة في النهج الذي اتبعته كل دولة في بناء مؤسساتها هل كان عن طريق الابتكار أم عن طريق التأثر بمن سبقهم من دول ,لذا فأن كلتا الدولتان بمن أنه قد اختلفتا في المنهج التشريعي أذا فما هي أوجه الوحدة والتنوع في المظاهر العمرانية الدينية,لذلك كانت خطة البحث تركز على ثلاثة مباحث فقد خصص المبحث الأول عن العمائر الدينية متمثلة بالجوامع والاظرحة والزوايا والخوانق والأربطة والمدارس,في احتوى المبحث الثاني عن العمائر التجارية منها الخانات والقياسر والأسواق أما المبحث فقد تظمن العمائر الاجتماعية وهي البيمارستانات والحمامات,وبذلك ختم الباحث بحثه بأهم النتائج التي توصل إليها عن المظاهر الوحدة والتنوع بين الدولتين الأيوبية والمملوكي من جانب العمائر الإسلامي.

المبحث الأول: العمائر الدينية(الجوامع,الأضرحة والزوايا,الخوانق,الربط,المدارس)

أولاً: الجوامع .

شهد عهد الدولة الأيوبية اهتماما كبيراً بالعمارة الدينية، ومنها تجديد عمارة المساجد الجامعة والتي تعرضت لأعمال التخريب نتيجة ما شهدته مصر من حروب وصراعات في أواخر العهد الفاطمي، ومن أبرز الجوامع التي تم تجديدها جامع عمرو بن العاص المسمى بالجامع العتيق ويقال له تاج الجوامع, وهو أول مسجد أسس بالديار المصرية بعد الفتح، وتم تجديده في عام ٥٦٨هـ/١١٧٢م [١]، والذي تعرض لأعمال التخريب نتيجة حريق الفسطاط سنة ٥٦٤هـ/١١٦٨م [٢]، فأمر السلطان صلاح الدين بتجديد بناء هذا الجامع وغطاؤه بالرخام، يقول ابن دقمان: (وفي سنة ثمان وستين وخمسمائة جدد الملك الناصر صلاح الدين صدر الجامع والمحراب الكبير ورخمه ورسم عليه اسمه ...) [٣].

ويؤكد ابن جبير اهتمام السلطان صلاح الدين بالمراكز العلمية وخدمة العلم والعلماء بقوله: (وما من جامع من الجوامع ولا مسجد من المساجد ولا روضة من الروضات المبنية على القبور ولا محرس من المحارس ولا مدرسة من المدارس إلا وفضل السلطان يعم جميع من يأوي إليها ويلزم السكنى فيها، تهوّن عليه في ذلك نفقات بيوت الأموال) [٤]، كما يصف لنا ابن بطوطة الحياة العلمية داخل أحد مساجد دمشق في عام ٧٢٦هـ/١٣٢٥م قائلاً : (فلا تزال الصلاة في هذا المسجد من أول النهار إلى ثلث الليل وكذلك قراءة القرآن، وهذا من مفاخر هذا الجامع المبارك، وبهذا المسجد حلقات التدريس في فنون العلم، والمحدثون يقرءون كتب الحديث على كراسي مرتفعة، وقراء القرآن يقرءون بالأصوات الحسنة صباحا ومساء وبه جماعة من المعلمين لكتاب الله يستند كل واحد منهم إلى سارية من سواري المسجد يلقّن الصبيان ويقرئهم، وهم لا يكتبون القرآن في الألواح تنزيها لكتاب الله تعالى، وإنما يقرئون القرآن تلقينا، ومعلم الخط غير معلم القرآن يعلمهم بكتب الأشعار وسواها، فينصرف الصبي من التعليم إلى التكتيب وبذلك جاد خطه لان المعلّم للخط لا يعلّم غيره) [٥].

كما اهتم الملك العادل بترميم ما تهدم من جوامع الكرك، وأنشأ السلطان الصالح نجم الدين جامع الروضة بقلعة جزيرة الفسطاط في سنة ٦٤١هـ/١٢٤٤م، وسارع الملك الأشرف موسى الأيوبي ببناء المساجد وترميمها وتحويل بعض مناطق الفجور إلى مساجد تقام فيها الصلاة، مثل تحويله خان بدمشق كان يجرى فيه الكثير من أعمال الفسق والفجور إلى جامع وسماه جامع التوبة[٦]، ويذكر ابن كثير أن الملك الأشرف الأيوبي قام بإنشاء العديد من الجوامع ومنها: جامع جراح, ومسجد دار السعداء, ومسجد القصب [٧].

وقد شهدت العمائر الدينية اهتماماً كبيراً في عهد الدولة المملوكية، ومن أبرز سلاطينها الظاهر بيبرس الذي اشتهر ببناء الكثير من المساجد والجوامع والزوايا، وقال فيه ابن تغري: (وبني في أيامه بالديار المصرية ما لم يبن في أيام الخلفاء المصريين، ولا ملوك بنى أيوب من الأبنية والرباع والخانات والقواسير والدور والمساجد والحمامات) [٨]، وفي عام ٦٦١هـ/١٢٦٢م زار الظاهر بيبرس مدينة القدس وأمر بترميم المسجد الأقصى وخصص له خمسة آلاف درهم في كل عام [٩]، وفي عام ٦٦٨هـ/١٢٦٩م أمر بتجديد النقوش التي على الرخام في مسجد الصخرة المشرفة، وفي عام ٦٥٩هـ/١٢٦٠م قام بتجديد قبة السلسلة [١٠]الموجودة داخل الحرم القدسي الشريف، ومن مآثره أيضاً أنه بنى قبة ومسجد على قبر نبي الله موسى–عليه السلام– قبلي أريحا ووقف عليه وقفاً عام ٦٦٨هـ/١٢٦٩م، وقد صار هذا المقام مقصداً لآلاف الزوار [١١].

قام السلطان بيبرس في عام ٦٧٤هـ/١٢٧٤م ببناء جامع في قلعة صفد يتوسط المدينة على شكل قلعة ضخمة، تحيط به أسوار ارتفاعها سبعة أمتار، وهو على شكل مستطيل طولي ضلعية ٤٠ متر و٢٨.٥ متر، وتقع بوابته وسط السور الشمالي، طولها سبعة أمتار وعرضها ثلاثة أمتار، وفي وسط الصحن يوجد البئر وبركة الطهارة، وخلفها مدخل المسجد الذي يتكون من بابين [١٢]، ويعد هذا الجامع تحفة معمارية حاضرة، ويعرف اليوم باسم جامع الظاهري أو الجامع الأحمر نسبة إلى بنائه بالحجر الأحمر[١٣].

وكان السلطان بيبرس حريصاً على تعمير القاهرة، فجدد الجامع الأزهر وجامع الأنوار، وأنشأ جامع العافية بالحسينية [١٤]، وقد امتاز عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون بالإنتاج الفني السامي، وأهم مبانيه العظيمة جامع الناصر محمد بالقاهرة، وقد أنشاه الناصر في عام ٧٣٥هـ/١٣٣٥م بالقلعة بعد إزالة المسجد الأيوبي القديم، وتبلغ مساحته ٣٤٥٦ متراً مربع، وقد نقلت أعمدته من المعابد المصرية القديمة بالأشمونين بصعيد مصر، ولا يزال الجامع قائماً حتى الآن، وتعد مئذنتاه من المآذن الفريدة في القاهرة المملوكية [١٥].

ازدهرت النماذج المعمارية في عهد الدولة المملوكية وكثرت ولا تزال قائمة حتى الآن تشهد بفخامة العمارة وجلالها، ومن أبرز هذه النماذج مسجد ومدرسة السلطان حسن بن محمد بن قلاوون الذي أمر ببنائه في عام ٧٥٧هـ/١٣٥٦م غرب قلعة الجبل، ويوصف بأنه درة العمارة الإسلامية في الشرق، ويعد أكثر آثار القاهرة الإسلامية تناسقاً وانسجاماً [١٦]، ويتكون البناء من مسجد ومدرسة للمذاهب الأربعة، ويمتاز هذا المسجد بمدخله الضخم من حيث الارتفاع الشاهق الذي يوحي بالاتزان والرسوخ والذي يبلغ أكثر من ٣٧ متراً، وداخل المسجد صمم الطراز ذو الصحن المكشوف المحاط بأربعة أروقة أكبرها رواق القبة الذي تعلوه القبة المرتكزة على صفوف المقرنصات، وقد صمم المبنى على هيئة كثيرة الأضلاع [١٧]، وتبلغ مساحته ما يقارب الثمانية مائة متراً مربع، وله أربع وجهات، ويبلغ ارتفاع المنارة القبلية١٨.٦٠ مترعن صحن الجامع، والقبة مربعة طول ضلعها ٢١ متر، وارتفاعها إلى ذروتها ٤٨ متر، وبها محراب من الرخام محلى بزخارف دقيقة، ووزرة مرتفعة نحو ثمانية أمتار، وقد حليت أعتاب شبابيك القبة بمقرصنات وعقود[١٨] غريبة، وطعمت بأشرطة من القاشاني[١٩]، وحليت نواصيها بعمد من الحجر بها كتابات كوفية، ويبلغ ارتفاع جدران المسجد ٣٤.٥مترا وهي مبنية بالحجارة المنحوتة الكبيرة المأخوذة من أنقاض الأهرام [٢٠]، وقد وصف المقريزي هذا المسجد بقوله: (وابتدأ السلطان عمارته في سنة سبع وخمسين وسبعمائة، وأوسع دوره وعمله في أكبر قالب وأحسن هندام وأضخم شكل، فلا يعرف في بلاد الإسلام معبد من معابد المسلمين يحكي هذا الجامع، ....، وفي هذا الجامع عجائب من البنيان منها: أن ذراع إيوانه الكبير خمسة وستون ذراعا في مثلها، ويقال أنه أكبر من إيوان كسرى الذي بالمدائن من العراق بخمسة أذرع، ومنه القبلة العظيمة التي

لم يبن بديار مصر والشام والعراق والمغرب واليمن مثلها، ومنها المنبر الرخام الذي لا نظير له، ومنها البوّابة العظيمة) [٢١].

ويذكر الورثيلاني الرحالة المغربي الذي زار مصر في القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي: (وبطرق الرملة الذي يلي المدينة مسجد السلطان حسن، وهو مسجد لا ثاني له في مصر ولا في غيرها من البلاد في فخامة البناء ونباهته، وارتفاعه وإحكامه، واتساع حناياه وطول أعمدته الرخامية وسعة أبوابه كأنه جبال منحوتة تصفق الرياح في أيام الصيف بأبوابه كما تفعل في شواهق الجبال وفي أحد أبوابه سارية ورخامية لطيفة يقال إنها من إيوان كسرى وفيها نقوش عجيبة يقال إنها على صورتها وضعت أبواب المسجد) [٢٢]، وخلاصة القول أن مسجد السلطان جمع بين الضخامة ودقة الزخارف ويليه في هذا جامع المؤيد الذي يمتاز بمحرابه وبمنبره وبجدرانه المكسوة بالفسيفساء الجميلة[٢٣].

يعد مسجد السلطان الغوري أخر المساجد التي بنيت في عهد الدولة المملوكية قبل دخول العثمانيين، وقد عني بزخرفته ورخامه إلى أن انتهت عمارته في عام ٩٠٩هـ/١٥٠٣م وبلغت نفقته نحو مائة ألف دينار، ولهذا المسجد ثلاث وجهات: إحداها غربية وأسفلها حوانيت ويتوسطها الباب الغربي وقد حلى بنقوش في الحجر وكسيت مصارعيه بالنحاس، والأخرى قبلية وهي بسيطة جداً، وثالثها الوجهة الشرقية وبها الباب العمومي وقد كسي بالرخام، يعلوه شباك كسي ما حوله بالرخام على هيئة مزررات[٢٤] يغطيه تدريج في البناء والذي يطلق عليه(المقرنص) منقوش فوقه﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحمَنِ الرَّحَيمِ*نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[سورة الصف آية:١٣]، وقد زينت جلسات الشبابيك وأعتابها بزخارف دقيقة[٢٥]، وتصميم المسجد أربعة إيوانات متعامدة تحيط بجدرانها وجدران الصحن وزرة من أشرطة رخامية مكتوب عليه بالخط الكوفي المزهر، ويتوسطه محراب من الرخام الدقيق ويكسو عقود الشبابيك مزررات رخامية، ويقوم إلى جانبه منبر قيم دقت حشوات السن فيه بالأويما (فن الحفر على الخشب)، كما توجد به حشوات صغيرة من العاج والصدف ، وقد طعمت حشوات الدرابزين(حاجز على باب السلم) والباب العمومي وفرشت أرضية الصحن وأرضية الإيوانات[٢٦] بالرخام الدقيق الملون، وتقوم المنارة في الطرف القبلي للواجهة الشرقية، وهي منارة مربعة

ضخمة، أقيمت قاعدتها مع أساس الوجهة، ولها أربعة رءوس، وفي عام ٩١١هـ/١٥٠٥م حدث خلل بهذه المنارة وآلت للسقوط بسبب ثقل علوها لكونها تشتمل على أربعة رءوس فأمر السلطان بهدمها، وأعيد بناؤها بالطوب وكسي بالقاشاني الأزرق، وبدلت الرءوس الأربعة برأسين فقط [٢٧].

ولا يتسع المجال لذكر الكم الهائل من الجوامع والمساجد التي تم إنشائها في عهد الدولة المملوكية، ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر جامع الظاهر بيبرس, ومسجد سلار وسنجر الجاولي، ومسجد السلطان برقوق ومساجد السلطان قايتباي العديدة في أنحاء القاهرة والإسكندرية والفيوم ...، هذا بخلاف أضرحتهم ذات القباب [٢٨] الفريدة التصميم مثل قبة ضريح برسباي وقبة ضريح سنقر السعدي [٢٩].

ظهر عنصر الوحدة بين الدولة الأيوبية والدولة المملوكية في جانب عمارة الجوامع في أن كلتا الدولتين قد اعتنوا ببناء عدد كبير من الجوامع وترميم الجوامع القائمة، أما في الزخرفة فقد انصرف الفنانون في عهد الدولة الأيوبية عن رسوم الإنسان والحيوان وأبدعوا في الزخارف الهندسية والنباتية، وقد شهد عهد الدولة المملوكية الإكثار من استخدام الزخارف في عمارة الجوامع فضلاً عن تشييد الكثير منها، فكانت القاهرة المملوكية متحفاً عظيماً بحق بما فيها من جوامع ومساجد تتجلى فيها الزخارف الدقيقة والرخام متنوع الألوان، وكذلك تقدمت صناعة الخزف في عهد الدولة المملوكية وأتقن الفنانون في مصر الزخارف الهندسية والنباتية على الأخشاب والأحجار والمعادن والأقمشة، فضلاَ عن المشكوات المصنوعة من الزجاج المموه بالمينا التي كانت تزدان بها مساجد العهد المملوك

ثانياً: الأضرحة والزوايا.

شيد السلطان الكامل الأيوبي في عام ٦٠٨هـ/١٢١١م ضريح عظيم للإمام الشافعي، الذي توفى في عام ٢٠٤هـ/٨١٩ م ودفن بالقرافة الصغرى [٣٠]، وكان موضع دفنه ساحة، حتى عَمَرَ هذه الأماكن السلطان صلاح الدين، وأنشأ المدرسة الصلاحية بجوار الضريح لتدريس المذهب الشافعي، وعمل تابوتاً خشبياً أعلى القبر [٣١]، ثم أنشأ الملك الكامل القبة على ضريحه [٣٢]، وما تزال هذه القبة موجودة حتى عهدنا هذا، وقد تم تجديد الضريح في عهد السلطان

قايتباي في عام ٨٨٥هـ/١٤٨٠م، ويتكون الضريح من مربعاً طول ضلعه خمسة عشر متراً، تحيط به أربعة جدران سميكة، ترتفع إلى ما يقرب من عشرين متراً، وقد بني النصف الأدنى منها من الحجارة والنصف الأعلى من الآجر[٣٣]، وجوفت بجدار القبلة ثلاث محاريب، وفتح باب في كل من الجدارين الشرقي والشمالي، وأقيمت على هذه الجدران قبة ترتفع سبعة وعشرين متراً فوق أرضية الضريح، وترتفع القبة على ثلاث طوابق من المقرنصات، وقد تكونت القبة من طبقتين، الأولى خشبية والثانية من الرصاص، أما الوجهات الخارجية فتتكون من ثلاث طوابق رأسية: الطابق الأدنى، فتحت في كل واجهة من واجهاته نافذة وسطى تحيط بها طاقتان من كل جانب، وتعلوه شرفة من أربع لوحات مستطيلة حليت بالزخارف، أما الطابق الأوسط فيمتد حوله طاقات على أشكال المحاريب تنتهي بأشكال محارات محصورة في عقود منفرجة، أما الطابق الأعلى فيشمل القبة [٣٤].

شيدت شجر الدر زوجة الملك الصالح نجم الدين أيوب ضريحاً لزوجها بجوار المدرسة الصالحية في عام ٦٤٨هـ/١٢٥٠م [٣٥]، ويتكون هذا الضريح من مربع طول ضلعه أحد عشر مترا، ويتراوح سمك هذا الجدار بين ٢: ٥متراً، وقد أقيمت على جدرانه قبة ترتفع اثنين وعشرين متراً فوق أرضية الضريح، ولهذا الضريح محراب كبير مجوف تنتهي قمته بعقد مدبب، وقد كسيت مسطحات المحراب بلوحات رفيعة من الرخام المختلف الألوان والزخرفة، ويحف بالمحراب عن يمينه ويساره عمود من الحجارة الرخامية الجرانيتية، وله قاعدة وتاج على هيئة ناقوس أو مشكاة، قد نقشت عليها بالحفر الغائر زخارف نباتية، ومدت فوق كل من التاجين حدارة نقشت عليها بالخط النسخي آيات قرآنية، أما القبة العظيمة التي تتوج الضريح، فهي تمتطي في كل ركن من الأركان الأربعة مجموعة من ثلاثة طوابق من المقرنصات يتحول بها المربع ألجداري إلى قاعدة مستديرة [٣٦].

حظيت المشاهد والأضرحة بعناية كبيرة في عهد الدولة المملوكية، ففي عام ٦٤٦هـ/١٢٤٨م حدث حريق بالمشهد الحسيني بالقاهرة فلم يلبث أن أصلح [٣٧]، وقد وصفه ابن بطوطة الذي زار مصر في عام ٧٢٧هـ/١٣٢٧م بقوله: (ومن المزارات الشريفة المشهد المقدس العظيم الشأن حيث رأس الحسين بن علي–عليهما السلام–، وعليه رباط ضخم عجيب البناء

على أبوابه حلق الفضة وصفائحها أيضا كذلك، وهو موفي الحق من الإجلال والتعظيم) [٣٨]، وكذلك يعد مدفن السلطان قايتباي بالصحراء الشرقية بالقاهرة من أهم العمائر المملوكية الباقية، ويتكون هذا المدفن من مدرسة وسبيل ومكتب وقبة، وصحن هذا المدخل مغطى بسقف ذو شخشيخة [٣٩]، وحوله أربعة إيوانات أكبرها إيوان القبة الذي يقع فيه المدفن، وقبته منقوشة برسوم هندسية ونباتية جميلة [٤٠].

عمر الظاهر بيبرس مشهد النصر في عين جالوت تخليداً لانتصار السلطان المظفر قطز على التتار، يقول ابن عبد الظاهر: (لما جرى ما يسره الله من النصر على التتار بعين جالوت ....، ورأى السلطان شرف هذه البقعة، رغب في ابتناء مشهد هناك، يُعلم به قدر منحة الله، وما سفك بذلك المكان من دماء الأعداء) [٤١]، ويلاحظ في العمارة الإسلامية بوجه عام أن المسلمين لم يعنوا بتشييد نصب تذكاري لتخليد ذكرى انتصاراتهم الحربية، بل إننا لا نعرف إلا مثلاً واحداً للنصب التذكاري في الإسلام وهو مشهد النصر الذي شيده السلطان بيبرس [٤٢].

وقد أنشأ أمراء المماليك وسلاطينها العديد من الزوايا [٤٣] لأغراض العبادة وكذلك دفنوا بها، مثل زاوية الكبكية التي بناها الأمير علاء الدين آيد غدى الكبكي، وقد دفن فيها في عام ٦٨٨هـ، وتقع هذه الزاوية في مقبرة ماملا في بيت المقدس [٤٤]، وللزاوية قاعدة مكعبة عليها قبة تستند إلى رقبة مستديرة والبناء كله من الحجر المصقول، وتتكون من غرفة مربعة الشكل، في الحائط الشمالي بها بوابة تؤدي إلى غرفة الضريح، وفي وسط الغرفة ضريح حجري كبير عليه أقواس، وللغرفة أربعة نوافذ عليها قضبان حديدية، وفوق كل منها عتبة يعلوها قوس، وللزاوية مدخل جميل الشكل، يعلوه عقد ثلاثي الفتحات [٤٥].

وقد عدّ المقريزي الزوايا في عهد الدولة المملوكية ومنها: زاوية الدمياطي التي أنشأها الأمير عز الدين أيبك الدمياطيّ ألصالحي ودفن بها في عام ٦٩٦هـ [٤٦]، وهناك زوايا تنسب إلى مشايخ وزهاد الصوفية مثل زاوية ابن منظور والتي تنسب إلى الإمام الزاهد الشيخ جمال الدين محمد بن أحمد بن منظور الكتانيّ العسقلانيّ الشافعيّ الصوفيّ، كانت له معارف وإتباع ومريدون كثر، وزاوية بالحسينية التي أنشأها الناسك القدوة الشيخ أبو الفتح نصر بن سليمان

المنبجيّ من علماء الحديث وعلومه والمتوفى عام ٧١٩هـ، وكان فقيها معتزلا عن الناس منقطعاً للعبادة، يتردّد عليه أعيان الدولة وأكابر الناس [٤٧]، وزاوية الشيخ خضر في القدس، بناها السلطان الظاهر بيبرس للشيخ خضر بن أبي بكر بن موسى المِهراني ألعدوي في عام ٦٦٠هـ/١٢٦١م [٤٨].

أما الزوايا في عهد الدولة الأيوبية فقد أنشأ السلطان صلاح الدين الزاوية الختنية بظاهر سور المسجد الأقصى الجنوبي خلف المنبر في عام ٥٨٧هـ/١١٩١م [٤٩]، وأوقفها على رجل من المجاهدين الأتقياء يسمى جلال الدين محمد ألشاشي، وقد كان مجاوراً في بيت المقدس وجعل الوقف من بعده لمن يحذو حذوه، وقد استلم مشيخة هذه الزاوية عدد كبيراً من كبار العلماء خلفاً للشاشي، وعلى رأسهم الشيخ العلامة شهاب الدين الرملي الذي ترك كثيراً من المؤلفات النافعة [٥٠].

وبالانتقال إلى مظاهر الوحدة والتنوع في هذا الجانب نجد أن كلتا الدولتين الأيوبية والمملوكية قد اعتنت بعمارة المشاهد والأضرحة والزوايا، ومن المظاهر المعمارية المشتركة في العهدين القباب الجميلة المحلاة زواياها بالمقرنصات، غير أن عهد الدولة المملوكية قد شهد الإكثار من مظاهر الزخرفة العمرانية فضلاً عن إنشاء عدد كبير من هذه العمائر الدينية مقارنة بالعهد الأيوبي.

ثالثاً: المدارس.

عرفت القاهرة المدارس على يد السلطان صلاح الدين، وهي مؤسسات تعليمية أتى بها السلطان صلاح الدين من الشام؛ لنشر العلم ومحاربة ما علق في أذهان الناس من البدع والخرافات، وكانت المدارس في عهد الدولة الأيوبية تؤدي وظيفة المساجد وتؤدى في معظمها صلاة الجمعة [٥١]، يقول القلقشندي: (وأقيمت الجمعة في كثير من المدارس والمساجد الصغار المتفرقة في الإخطاط(الأعداد العقدية) لكثرة الناس وضيق الجوامع عنهم) [٥٢]، وقد أنشأ عدداً كبيراً من هذه المساجد المدرسية في مصر وبلاد الشام بين قيام الدولة الأيوبية وانتهائها، وبلغ

عدد المدارس التي أنشئت في القاهرة والفسطاط أربع وعشرين مدرسة، وروى المقريزي أن أول مدرسة تم إنشائها في القاهرة بجوار مسجد عمرو كانت في عام ٥٦٦هـ/١١٧٠م بأمر من صلاح الدين، وعرفت بالمدرسة الناصرية، وكانت برسم الشافعية [٥٣]، وشرع السلطان صلاح الدين في نفس العام في إنشاء مدرسة أخرى للفقهاء المالكية بجوار المسجد العتيق وسميت بالمدرسة القمحية، وتسابق إلى إنشاء المدارس الملوك والأمراء ورجال الدولة والأغنياء[٥٤].

اندثرت المدارس التي تم إنشائها في عهد الدولة الأيوبية ولم يتبق منها غير أطلال المدرسة الصالحية والمدرسة الكاملية، وقد أنشئها الملك الكامل ناصر الدين محمد ابن الملك العادل في عام ٦٢٢هـ/١٢٢٥م وهي ثاني دار عملت للحديث [٥٥]، وظلت هذه المدرسة زاهرة حتى عام ٨٠٦هـ/١٤٠٣م، وفي عام ١٣٢٠هـ/١٩٠٣م أزالت مصلحة الآثار الأتربة عن أطلال هذه المدرسة، ولم يتبقى منها سوى قاعة مستطيلة طولها عشرة أمتار ونصف، وعرضها تسعة أمتار ونصف، وهي مسقوفة بقبوه مدببة مبنية بالآجر على هيئة قاعة الثعالبة–أي تتكون من مداميك أفقية تعلوها مداميك رأسية–وتبلغ فتحة القبوة تسعة أمتار ونصف، وجدران القاعة مبنية من الحجارة ويبلغ سمكها المترين [٥٦]، أما المدرسة الصالحية فقد بناها الصالح نجم الدين أيوب في عام ٦٤٠هـ/١٢٤٢م [٥٧]، وقد اندثرت أبنيتها الداخلية ولم يتبق منها غير قاعة المدرسة المجاورة لقبة الملك الصالح، أما بوابة المدرسة وواجهتها الشمالية ومئذنتها فما زالت قائمة، وقد بنيت هذه الواجهة من حجارة مصقولة عنى برصها وتنظيمها عناية كبرى [٥٨].

كثرة المدارس في عهد سلاطين الدولة المملوكية، ولم تنشر المدارس ذات الإيوانات الأربعة إلا في هذا العهد، ومن أبرزها مدرسة السلطان حسن التي جمعت عمارتها شتى الفنون، يذكر حسن عبد الوهاب: (إن حق لمصر الفرعونية أن تفخر بأهرامها فإن لمصر الإسلامية أن تتيه عجباً بمدرسة السلطان حسن التي لا يعادلها بناء آخر في الشرق بإجماعه، فقد جمعت شتى الفنون فيها) [٥٩]، ويعرف موقعها قديماً بسوق الخيل، وقد أمر السلطان حسن في عام ٧٥٧هـ/١٣٥٦م بالبدء في بنائها، وعنى بها عناية شديدة، وكان يصرف عليها بسخاء عظيم، وقد وضع تصميم هذه المدرسة على طريقة التعامد التي تشتمل على أربعة إيوانا يتوسطها صحن مكشوف،وقد خصصت الإيوانات لتدريس المذاهب الأربعة، ويحتوي إيوان القبة على منبر

ومحراب شيد من الرخام [٦٠]، وكان السلطان قد عزم على أن يبني أربعة منارات، فرغ من بناء ثلاث، منها اثنتان تكتنفان القبة بالوجهة الشرقية، والثالثة كانت على الكتف الأيمن للباب العمومي، وفي عام ٧٦٢هـ/١٣٦١م سقطت المنارة الثالثة وهلك تحتها نحو ثلاثمائة نفس، فأبطل السلطان حسن بناء المنارة الرابعة واكتفى بمنارتين، وتعد هذه المدرسة من أعظم المدارس الإسلامية من حيث فخامة البناء وكثرة الزخارف وتناسق التخطيط [٦١].

ومن أشهر مدارس العهد المملوكي مدرسة السلطان قايتباي التي يتكون تخطيطها المعماري من قاعة وسطى مغطاة بسقف خشبي وأربعة إيوانات، وتمتاز هذه المدرسة بالتناسق الواضح بين عناصرها المعمارية، ومن أشهر مدارس العهد المملوكي أيضاً مدرسة السلطان الغوري التي تشبه مدرسة السلطان قايتباي كثيراً من حيث التخطيط المعماري ولكنها تتفوق عليها من حيث الثراء الزخرفي وجمال الموقع [٦٢].

وبالانتقال إلى مظاهر الوحدة والتنوع في هذا الجانب نجد أن كلتا الدولتين الأيوبية والمملوكية قد اهتمتا بإنشاء المدارس لنشر العلم ومحاربة البدع والخرافات، وقد أدت المدارس في هذه الحقبة وظيفة المساجد وكانت تؤدى في معظمها صلاة الجمعة، غير أن مظاهر الرفاهية والزخرفة المعمارية كانت واضحة جداً في العهد المملوكي فضلاً عن كثرة إنشاء أعدد المدارس في هذا العهد مقارنة بعهد الدولة الأيوبية، ولم تنشر المدارس ذات الإيوانات الأربعة إلا في العهد المملوكي في مصر.

رابعاً: الخوانق.

ومن العمائر التي دخلت القاهرة على يد صلاح الدين الخوانق، وهي نوع من المنشآت جعلت للمتصوفة ينقطعون بها للتفرغ للعبادة والبعد عن الناس، وهي كالدير في النصرانية [٦٣]، وقد أنشأ السلطان صلاح الدين أول خنقاه بالقاهرة في عام ٥٦٩هـ/١١٧٣م وعرفت باسم الخانقاه الصلاحية دار سعيد السعداء–وسعيد السعداء لقب لخادم المستنصر الفاطمي اسمه قنبر كانت الدار له ثم صارت آخر الأيام سكن الصالح بن رزبك [٦٤] وأعدت لاستقبال الصوفية الوافدين

إلى البلاد، وأوقف عليها أوقافاً جليلة منها بستان الحبانية بجوار بركة الفيل خارج القاهرة، وقيسارية الشراب بالقاهرة، ووفر لهم فيها المأكل والمشرب والملبس [٦٥].

سار سلاطين الدولة المملوكية على درب خلفائهم فأنشئوا الكثير من الخوانق، مثل خانقاه ركن الدين بيبرس بالقاهرة، والتي شرع في بنائها في عام ٧٠٦هـ، وقد وصفها المقريزي بقوله: (وهي أجل خانقاه بالقاهرة بنيانا، وأوسعها مقدارا وأتقنها صنعة، ... ولما كملت في سنة ٧٠٩هـ/١٣٠٩م، قرر بالخانقاه أربعمائة صوفي، وجعل بها مطبخا يفرق على كل منهم في كل يوم اللحم والطعام وثلاثة أرغفة من خبز البر، وجعل لهم الحلوى، ورتب بالقبة درسا للحديث النبوي له مدرس، وعنده عدة من المحدثين، ورتب القرّاء بالشباك الكبير يتناوبون القراءة فيه ليلا ونهارا، ووقف عليها عدّة ضياع) [٦٦].

كما أنشأ السلطان الناصر محمد بن قلاوون خانقاه سريا قوس بشمال القاهرة في عام ٧٢٣هـ/١٣٢٣م وتسمى الخانقاه الناصرية [٦٧]، وجعل بها مائة خلوة للصوفيين، وكان المنقطع بها لا يحتاج إلى شيء غيرها ويتفرغ للعبادة، ومما قيل في الخانقاه:

سر نحو سريا قوس[٦٨]وانزل بفنا	أرجاءها يا ذا النّهي والرشد
تلق محلا للسرور وألهنا	فيه مقام للتقي والزهد
نسيمه يقول في مسيره	تنبهي يا عذبات الرند
وروضه الريان من خليجه	يقول دع ذكر أراضي نجد[٦٩].

وقد شهد عهد الدولة المملوكية بناء الكثير من الخوانك قد عدها المقريزي في خططه، ومنها: الخانقاه الجمالية التي إنشائها الأمير مغلطاي الجمالي، والخانقاه الشرابيشية التي إنشائها الصدر الأجل نور الدين الشرابيشي، والخانقاه المهمندارية التي إنشائها الأمير شهاب الدين أحمد المهندار، وخانقاه ابن غراب التي إنشائها القاضي الأمير سعد الدين إبراهيم بن غراب الإسكندراني، والخانقاه البندقدارية التي إنشائها الأمير علاء الدين البندق داري، وخانقاه أرسلان التي إنشائها الأمير بهاء الدين أرسلان الدوادار، والخانقاه الخروبية التي إنشائها زكيّ الدين أبو بكر بن عليّ الخرّوبيّ كبير التجار، وخانقاه أمّ أنوك التي إنشائها الخاتو نطغاي تجاه تربة الأمير طاشتمر الساقي [٧٠].

ظهر عنصر الوحدة بين الدولة الأيوبية والدولة المملوكية في جانب عمارة الخوانق في أن كلتا الدولتين قد اعتنوا بإنشائها تشجيعاً لحركة التصوف في هذا العهد، غير أن عهد الدولة المملوكية قد شهد إنشاء عدداً كبيراً منها مقارنة بعهد الدولة الأيوبية، فضلاً عن توفير الكثير من مظاهر الراحة بهذه الخوانق حتى ينقطع المتصوفين للعبادة.

خامساً: الربط.

ونظراً لتزايد الاهتمام بالتصوف في عهد السلطان صلاح الدين فقد ظهر نوع جديد من العمائر الدينية لم يكن معروف بالقاهرة من قبل وهو الربط [٧١]، وتذكر المصادر أن الأمير بهاء الدين قرقوش قد بنى رباطاً في المقس بتكليف من السلطان صلاح الدين [٧٢].

وقد ذكر المقريزي في خططه الأربطة التي أنشأت في عهد الدولة المملوكية، ومنها: رباط الفخري الذي بناه الأمير عز الدين أيبك الفخري، ورباط البغدادية الذي أنشأته السيدة الجليلة تذكاريي خاتون ابنة الملك الظاهر بيبرس للشيخة زينب ابنة أبي البركات المعروفة ببنت البغدادي، فأسكنتها به ومعها بعض النساء عرفن بالخير، ورباط الأفرم الذي أنشأه الأمير عز الدين أيبك الأفرم ورتب فيه صوفيه وشيخاً وإماماً، وجعل فيه منبراً يخطب عليه للجمعة والعيدين، ورباط الخازن الذي بناه الأمير علم الدين سنجر والي القاهرة، ودفن فيه، ورباط المشتهى بروضة مصر، وكان يطل على النيل وقيل فيه:

بروضـــــة المقيـــــاس صـــــوفيّة هـــم منيـــة الخـــاطر والمشـــتهى
لهـــم علـــى البحـــر أيـــاد علـــت وشـــيخهم ذاك لـــه المنتهـــي[٧٣].

وعند الكلام عن عناصر الوحدة والتنوع عن عمارة الأربطة عند الأيوبيين والمماليك فيمكن القول إن كلتا الدولتين قد اهتمت بعمارتها تشجيعاً لحركة التصوف السائدة في هذا العهد، ولتوفير مكاناً ينقطع فيه المتصوفة للعبادة بعيداً عن زخرف الحياة، غير أن عهد الدولة المملوكية قد شهد إنشاء عدداً كبيراً من الأربطة مقارنة بعهد الدولة الأيوبية.

المبحث الثاني: العمائر التجارية (الخانات والقياسر والأسواق)

أولاً: الخانات والقياسر. [٧٤]

كان لازدهار التجارة في عهد الدولة الأيوبية دوراً فعالاً في أن تشهد المدن التجارية توسعاً كبيراً في بناء عمائر الخدمات الاقتصادية، ومن أبرزها الخانات، وهي منشآت مخصصة لنزول التجار المسافرين [٧٥]، ومن أبرز ما بني في العهد الأيوبي: خان مسرور [٧٦]، وهو خان كبير كان يتكون من مسجد جامع تقام فيه صلاة الجمعة وتسعة وتسعون بيت، وكان ينزل فيه التجار الشامية [٧٧]، وكذلك بنى الأمير تقي الدين عمر ابن أخي السلطان صلاح الدين في الفسطاط ثلاثة خانات، من أبرزها خان ألكارم الذي خصص لنزول تجار ألكارم[٧٨]، ومن المنشآت الاقتصادية التي ظهرت في عهد الدولة الأيوبية القياسر، وهي منشآت تجارية تتكون من حوانيت ومصانع، وقد بنى السلطان صلاح الدين في القاهرة عدد من القياسر، من أبرزها قيسارية الشرب في شارع القصبة، وأوقفها على الخانكاه الصلاحية دار سعيد السعداء [٧٩]، وكذلك بنى القاضي الفاضل قيسارية بجوار باب زويلة عرفت بقيسارية الفاضل [٨٠].

وقد شهد عهد الدولة المملوكية إنشاء الكثير من الخانات ومنها: خان بلال المغيثي الذي بناه الأمير الطواشي أبو المناقب حسام الدين المغيثي، وخان الصالح الذي بناه الملك الصالح علاء الدين عليّ بن السلطان الملك المنصور قلاوون، وخان دار التفاح الذي بناه الأمير طقوزدمر، وبظاهر هذه الدار يوجد عدة حوانيت تباع فيها الفاكهة، وما بين الحوانيت مسقوف حتى لا يصل إلى الفاكهة حرّ الشمس، وخان الخليلي الذي بناه الأمير جهاركس الخليليّ أمير آخور [٨١] الملك الظاهر برقوق، وخان طرنطاي الذي كان ينزل فيه تجار الزيت الواردين من الشام، وكان فيه ستة عشر عمودا من رخام، كل عمود ستة أذرع، ويعلوه ربع كبير [٨٢].

أما عمارة القياسر في عهد دولة المماليك، فقد شهد هذا العهد إنشاء الكثير منها، ومنها: قيسارية سنقر الأشقر التي بناها الأمير شمس الدين سنقر الأشقر الصالحيّ، وقد هدمت وأدخلت في الجامع ألمؤيدي عام ٨١٨هـ/١٣٩٨م، وقيسارية رسلان التي بناها الأمير بهاء الدين رسلان الدوادار، وقيسارية جهاركس التي بناها الأمير فخر الدين جهاركس، وقيسارية بيبرس وكان موضعها دارا تعرف بدار الأنماط، اشتراها وما حولها الظاهر بيبرس قبل توليه السلطنة، وهدمها

وعمر موضعها هذه القيسارية والربع فوقها، وقيسارية العنبر التي كانت سجنا، ثم عمرها الملك المنصور قلاوون عام ٦٨٠هـ/١٢٨١م وجعلها سوقاً للعنبر[٨٣].

ظهر عنصر الوحدة بين الدولة الأيوبية والدولة المملوكية في جانب عمارة الخانات والقياسر في أن كلتا الدولتين قد اعتنوا بإنشائها تشجيعاً لحركة التجارة، غير أن عهد الدولة المملوكية قد شهد إنشاء عدداً كبيراً منها مقارنة بعهد الدولة الأيوبية.

ثانياً: الأسواق. [٨٤]

كان بمصر وبلاد الشام عدداً كبيراً من الأسواق في عهدي الدولة الأيوبية والمملوكية، وقد أخبرنا بذلك المقريزي: (وكفاك دليلا على كثرة عددها–يقصد الأسواق–أن الذي خرب من الأسواق فيما بين أراضي اللوق إلى باب البحر بالمقس، اثنان وخمسون سوقا، أدركتاها عامرة، فيها ما يبلغ حوانيته نحو الستين حانوتا) [٨٥]، وما ذكره ابن بطوطة: (ولا يفتقر راكب النيل إلى استصحاب الزاد لأنه مهما أراد النزول بالشاطئ نزل للوضوء والصلاة وشراء الزاد وغير ذلك، والأسواق متصلة من مدينة الإسكندرية إلى مصر ومن مصر إلى مدينة أسوان من الصعيد) [٨٦]، وهذا الكلام يؤكد حقيقة أن مدن مصر في ذلك الحين كانت لها أسواق مزدهرة ودائمة، ومن أشهر هذه الأسواق سوق القصبة بمصر، والذي يمتد من المشهد الحسيني حتى مشهد السيدة نفيسة–رضي الله عنها–، وقد كان يحتوي على اثني عشر ألف حانوتاً خاصة بأنواع المآكل والمشارب والأمتعة [٨٧].

ويذكر المقريزي أنه كان: (يرمى بمصر في كل يوم ألف دينار ذهبا على الكيمان[٨٨]والمزابل) [٨٩]، ويقصد بذلك ما يستعمله الطباخون واللبانون والجبانون من الشقاق الحمر التي يوضع فيها اللبن والجبن وما يناظرها مثل ما يستعمله العطارون من الورق والقراطيس، وقد اختل حال القصبة وتعطل أكثر ما تشتمل عليه الحوانيت بعدما كانت مع سعتها تضيق بالباعة. ومن أجل أسواق القاهرة وأعمرها سوق باب الفتوح الذي أنشأ في عهد الدولة الأيوبية، ويمتد من حد باب الفتوح إلى رأس حارة بهاء الدين، ويقصده الناس من جميع البلدان

لشراء البقر والماعز والضأن فضلاً عن أصناف الخضراوات والفاكهة [٩٠]، ومن أسواق القاهرة التي استجدت في عهد الدولة الأيوبية أيضاً، سوق السلاح الذي يمتد بين المدرسة الظاهرية وبين باب قصر بشتاك–نسبة للأمير سيف الدين بشتاك الناصري أحد أمراء الناصر محمد بن قلاوون–، وقد جعل لبيع النشاب والقسيّ وغير ذلك من السلاح، وسوق الشرابشيين[٩١] الذي يباع فيه الخلع التي يلبسها السلطان للأمراء والوزراء وغيرهم، وكان بهذا السوق عدّة تجار يقومون بشراء الخلع وبيعها للسلطان في ديوان الخاص، وسوق المهاميز[٩٢] الذي كانت حوانيته تبيع المهاميز التي تستخدم في ركوب الخيل، وسوق الحوائصيين الذي تباع فيه حوائص[٩٣] الأجناد، وكانت أربعمائة درهم فضة ثم جعل المنصور قلاوون حوائص كبار الأمراء ثلاثمائة دينار، وأمراء الطبلخانات مائتي دينار، وفي الأيام الناصرية اتخذ كبار الأمراء والخاصة الحياصة من الذهب، ومنها ما هو مرصع بالجواهر [٩٤]، وسوق الحلاويين الذي يباع فيه حلوى السكر، وكان من أبهج الأسواق لما يشاهد في الحوانيت من حلوى متعددة الألوان وحسنة المذاق، وقد قل عمل الحلوى عندما حدثت المحن وغلا السكر لخراب الدواليب التي كانت بالوجه القبلي [٩٥]، وفي عهد الدولة المملوكية كان بالقاهرة أسواق اختصت في بيع لوازم السفر مثل سوق المرحلين، الذي كان يباع به أدوات تجهيز الجمال التي كانت تعد وسيلة المواصلات البرية الوحيدة للمسافات الطويلة، وسوق المحايريين الذي كانت تباع به المحاير التي يسافر فيها الناس إلى الحجاز [٩٦].

ونلاحظ من خلال مصادر هذا العهد أنه كان لكل مدينة من المدن المصرية أسواقها الخاصة بها، فقد كان لإسنا وأخميم وغيرها من مدن الوجه القبلي أسواقها المزدهرة، وكذلك فقد كان لكل مدن الوجه القبلي أسواقها الخاصة بها [٩٧]، والواقع أن أسواق القاهرة والأقاليم قد تشابهت من حيث نظامها، غير أن بعض الأسواق التي تختص بأمور السلاح وملابس الجند وخلع السلطان ليس لها نظائر في الأقاليم، وقد عرفت قرى الريف المصري في هذا العهد نظام الأسواق الدورية التي كانت تقام يوماً في الأسبوع، وما يزال هذا النوع من الأسواق معروفاً في قرى الريف المصري لليوم [٩٨].

وإلى جانب الأسواق عرفت الحياة المصرية في هذا العهد الباعة الجائلين الذين كان بعضهم يفترشون أراضي الأسواق ببضائعهم وعرفوا باسم أرباب المقاعد، أما الصنف الثاني من

الباعة الجائلين فكانوا يطوفون شوارع المدن وأزقتها–بعيداً عن الأسواق–ينادون على بضائعهم، ويذكر المقريزي أنه عادة ما كان يحدث منافسة بين الباعة أرباب المقاعد وأصحاب الحوانيت القائمة في الأسواق: (ويقال لهم أصحاب المقاعد، وكل قليل يتعرّض الحكام لمنعهم وإقامتهم من الأسواق لما يحصل بهم من تضييق الشوارع وقلة بيع أرباب الحوانيت) [٩٩].

ويعد سوق القطانين من أحسن أسواق فلسطين وأتقنها بناءً وارتفاعاً، وقد بني في عام ٧٣٧هـ/١٣٣٦م بأمر من السلطان الناصر محمد بن قلاوون، ويتكون السوق من عدد كبير من الحوانيت المتشابهة والمتقاربة في صفين يفصل بينهما ممر مسقوف محمول على ثلاثين عقداً مدببة تتخللها فتحات تسمح بالتهوية والإضاءة ومسقوف بطريقة الأقبية المتقاطعة على شكل قبو نصف برميلي، كما تم تزيين بعض فتحات سقف الممر بالمقرنصات الجميلة، ولا تزال هذه السوق تؤدي وظيفتها حتى اليوم [١٠٠].

ظهر عنصر الوحدة بين الدولة الأيوبية والدولة المملوكية في جانب عمارة الأسواق في أن كلتا الدولتين قد اعتنوا بإنشائها، ويتكون البناء المعماري للسوق من عدة حوانيت متشابهة البناء والحجم، وفي كلا العهدين عرفت الحياة المصرية الباعة الجائلين بصورتيهم إما مفترشو الأرض كأرباب المقاعد أو متجولون في الشوارع، أما عنصر التنوع بين الدولتين فقد ظهر في إنشاء عدداً كبيراً من الأسواق في عهد الدولة المملوكية مقارنة لعهد الدولة الأيوبية.

المبحث الثالث: العمائر الاجتماعية (البيمارستانات والحمامات)

أولاً: البيمارستانات.

شهدت القاهرة في عهد السلطان صلاح الدين نشاطاً كبيراً في إنشاء البيمارستانات، ومن أبرزها البيمارستان ألصلاحي الذي عرف بالبيمارستان العتيق، وقد أمر صلاح الدين بإنشائه في عام ٥٧٢هـ/١١٧٦م على أجزاء من القصر الشرقي [١٠١]، إذ تم استغلال بعض قاعات هذا القصر ليتكون منها البيمارستان، وقيل أنّ به قاعة كُتبَ القرآن الكريم كاملاً على جدرانها، يقول القلقشندي: (البيمارستان العتيق الذي داخل القصر، وهو باقٍ على هيئته إلى الآن، ويقال إن

فيها طلسماً لا يدخلها ثمل، وإن ذلك هو السبب الموجب لجعلها بيمارستان) [١٠٢]، وقد زود السلطان صلاح الدين بيمارستانه بما يحتاجه من موظفين وأطباء وأوقف عليه الأوقاف الجليلة لضمان استمرار العمل به، وقد وصف ابن جبير هذا البيمارستان بقوله: (ومما شاهدناه أيضا من مفاخر هذا السلطان المارستان الذي بمدينة القاهرة، وهو قصر من القصور الرائقة حسنا واتساعا أبرزه لهذه الفضيلة تأجرا واحتسابا وعيّن قيّما من أهل المعرفة وضع لديه خزائن العقاقير ومكنه من استعمال الأشربة وإقامتها على اختلاف أنواعها. ووضعت في مقاصير ذلك القصر أسرة يتخذها المرضى مضاجع كاملة الكسى. وبين يدي ذلك القيم خدمة يتكفلون بتفقد أحوال المرضى بكرة وعشية، فيقابلون من الأغذية والاشربة بما يليق بهم ...) [١٠٣].

شهد عهد الدولة المملوكية اهتماماً كبيراً بعمارة البيمارستانات، ومن أبرزها البيمارستان المنصوري المسمى بدار الشفاء، وكان المشرف على بنائه الأمير علم الدين سنجر الرفاعي بأمر من السلطان الناصر قلاوون في عام ٦٧٥هـ/١٢٧٦م[١٠٤]، وقد أنهى مهام البناء في وقت وجيز– أحد عشر شهراً–وبأبهى حلة، وكان ذرع هذه القاعة عشرة آلاف وستمائة ذراع، فأبقى على القاعة بإيواناتها الأربعة، وفيها فسقية[١٠٥] يصير الماء إليها من الشاذ وران(أساس البيت)، وأفرد لكل طائفة من المرضى أمكنة تختص بهم، فجعلت قاعة للرمد وقاعة لمن أفرط به الإسهال وقاعة للجرحى، وأفردت أماكن لطبخ الطعام والأشربة والأدوية وتركيب الأكحال وعمل المراهم والأدهان وغيرها، ورتب فيه مكان يجلس فيه كبار الأطباء لإلقاء دروس الطب على الطلبة[١٠٦]،كما أنه كانت تصرف الأدوية والأغذية لمن يعالجون في منازلهم [١٠٧]، في حين يذكر باشا قائلاً : (كانت قاعات المرضى تدفأ بإحراق البخور أو تبرد بالمراوح الكبيرة، وكانت أرض القاعات تغطى بأغصان شجر الحناء أو شجر الرمان أو الشجيرات العطرية) [١٠٨]، ولما انتهت أعمال البناء أوقف الملك المنصور على البيمارستان ما يقارب ألف درهم في كل سنة [١٠٩].

ولم يبق من البيمارستان غير قسم من الإيوان الشرقي به فسقية رخامية، ويوجد به شبابيك أحيطت بكتابات كوفية، وكذلك توجد بقايا من الإيوان الغربي وبه سلسبيل حليت حافته بحيوانات تنحدر عليها المياه إلى فسقية فمجراه من الرخام تتلاقى مع المجرات المقابلة لها، ومثل

هذا موجود في قصر الحمراء بالأندلس [١١٠]، وتدل التحلية الجبسية في بعض النوافذ التي لا تزال موجودة في الردهة الشرقية على أن الزخارف التي تم استخدامها فبالمارستان لم تكن تقل نفاسه عن زخارف التربة التي هي أسلم بناء حفظ حتى عهدنا الحالي من أبنية قلاوون[١١١].

وعند الكلام عن عناصر الوحدة والتنوع عن عمارة البيمارستانات عند الأيوبيين والمماليك فيمكن القول إن كلتا الدولتين قد اهتمتا بالعمارة حرصاً على إقامة مجتمع سليم معافى، لذلك اهتموا بعلوم الطب ومؤسساته التعليمة والخدمية ورصدوا لها أوقافاً كثيرة، غير أن سلاطين الدولة المملوكية قد أكثروا من استخدام الزخارف وتوفير قدر كبير من الراحة والعناية بالمرضى وذويهم.

ثانياً: الحمامات.

شهد العهد الأيوبي توسع في إنشاء الحمامات، ولقد بنى السلطان صلاح الدين حماماً عرف بحمام الصوفية بجوار الخانقاه ألصلاحي، وجعله وقفاً على المتصوفة، ولا يزال هذا الحمام موجوداً حتى العهد الحديث ويعرف باسم حمام سعيد السعداء [١١٢]، كما بنى القاضي الفاضل حماماً بالقرب من قيساريته، وكان يتكون من حمامين إحداهما للرجال والآخر للنساء ويعرف في الوقت الحاضر بحمام السكرية [١١٣]، وقد بنى الأمير حسام الدين لؤلؤ حماماً يقع في رأس رحبة الأيد مري ملاصقة لدار ألسناني[١١٤].

أما في عهد الدولة المملوكية فقد أحصى ابن دقمان حمامات الفسطاط وحدها فكانت خمس وأربعين حماماً، وأمدنا بأسماء بعضها، من أولهم: حمام الفأر بسويقة المغاربة، وكان أول حمام يبنى في مدينة الفسطاط، وكانت مساحته صغيرة جداً مقارنتاً بالحمامات القديمة [١١٥]، ومن الحمامات التي لا تزال موجودة في القاهرة حمام بشتاك الذي بناه الأمير بشتاك الناصري، والحمام ألمؤيدي الذي بناه السلطان المؤيد شيخ وحمام السلطان أينال في شارع المعز، ولا عجب أن توصف حمامات هذه الحقبة بأنها أتقن وأحسن حمامات الشرق، فأرضها مرخمة بأصناف الرخام المجزع(فيه سواد وبياض)، وجدرانها وأسقفها وقبابها مبيضة بياضاً ناصعاً، ومرسومة بزخارف مختلفة الألوان، وقبابها مرصعة بزجاج مختلف الألوان [١١٦]، ويتكون الحمام القاهرة من عدة وحدات معمارية وهي:

١. المسلخ أو المشلح وهو المكان المعد لخلع الملابس، ويتكون من عدة مقاعد خشبية أو حجرية تغطيها المساند والسجاد، ويوجد به حجرة لصاحب الحمام يراقب من خلاله الحمام ويوزع المناشف والصابون على المستحمين

٢. بيت أول: وهو مكان معد لجلوس المستحمين لتتعود أجسامهم على الحرارة قبل الاستحمام وبعده.

٣. بيت الحرارة: توجد به المغاطس والأحواض والخلوات، ويتوسطه حوض مكسواً بالرخام به ماء شديد السخونة، ويحيط به أماكن للتدليك وغطى هذا الجزء قبة كبيرة.

٤. الموقد: هو المكان الذي توقد به النار اللازمة لتسخين المياه، ويتكون من فرن فوقه عدة قدور من النحاس مملوءة بالمياه، ويندفع البخار والماء الساخن من خلال مواسير من الرصاص [١١٧].

وبالانتقال إلى مظاهر الوحدة والتنوع في هذا الجانب نجد أن كلتا الدولتين الأيوبية والمملوكية قد اهتمتا بإنشاء الحمامات غير أن مظاهر الرفاهية والزخرفة المعمارية كانت واضحة جداً في العهد المملوكي فضلاً عن كثرة إنشاء عدد الحمامات في هذا العهد مقارنة بعهد الدولة الأيوبية.

الخاتمة

لقد احتوى هذا البحث موضوعاً ذا أهمية في تاريخ الدولة الأيوبية والدولة المملوكية في جانب العمائر الدينية ، وقد توصل الباحث إلى نتائج من خلال مظاهر الوحدة والتنوع بين الدولة الأيوبية والدولة المملوكية تعد ذات أهمية كبرى،

- اتصف الطابع الأيوبي في العمارة بالتقشف وعدم الإسراف في الزخرفة بسبب حالة الجهاد الدائمة التي كانت تعيشها البلاد، وقد انصرف الفنانون في هذا العهد عن رسوم الإنسان والحيوان وأبدعوا في الزخارف الهندسية والنباتية.
- شهد عهد الدولة المملوكية الإكثار من استخدام الزخارف في العمائر، فكانت القاهرة المملوكية متحفاً عظيماً بحق بما فيها من جوامع ومساجد ومدارس وبيمارستانات ومشاهد

وأضرحة ... تتجلى فيها الزخارف الدقيقة والرخام متنوع الألوان، ولم تعرف المدارس ذات الإيوانات الأربعة إلا في العهد المملوكي في مصر.

- إن المتتبع لعناصر الوحدة والتنوع بين الدولتين الأيوبية والمملوكية في العمائر الإسلامية وخاصة في الجانب العمراني الديني والمتمثل بالجوامع والزوايا والاظرحة والخوانق والربط يجد عنصر الوحدة في العمران أكثر سمة بارزة من عنصر الاختلاف ويعود ذلك الى مبدأ الالتزام بتلك الأمكنة الدينية التي يكون لها تأثير على نفوس إذا كان هناك تغير في الملامح العمرانية سوى هناك بعض التنوع في الفن العمراني من حيث الزخارف الهندسية.
- ومن خلال التقصي والبحث عن عناصر الوحدة والتنوع في جانب العمائر التجارية المتمثلة بالخانات والأسواق, إذ كان عنصر التنوع سمة واضحة وهذا يعطي إشارة إلى أن سلاطين كلتا الدولتين كانوا يركزون على الجانب الاقتصادي الذي يعد الركيزة الأساسية لدولتهم لذلك كان هناك اختلاف في الفن العمراني من حيث التخطيط والبناء.
- أما ما يخص جانب الوحدة والتنوع العمراني الاجتماعي في بناء البيمارستانات والحمامات يتبين أن كلتا الدولتين قد أعطت أهمية بإنشائها ,لكن يبدو أن عنصر التنوع كان أكثر صفة بتلك العمائر وخاصة الدولة المملوكية التي صبت اهتمامها على فن الزخارف والتزين لإعطاء أكثر راحة للناس ومنهم المرضى.

قائمة المصادر والمراجع

(١) ألحارثي،عدنان محمد فايز , عمران القاهرة وخططها في عهد صلاح الدين الأيوبي(مكتبة زهراء الشرق,القاهرة:١٩٩٩م)، ص٣٩٩.

(٢) وليم لين،إدوارد القاهرة منتصف القرن التاسع عشر ,ترجمة:أحمد سالم(الدار المصرية,القاهرة:٢٠١٧م)، ص٣١.

(٣) ابن دقمان، إبراهيم بن محمد، الانتصار لواسطة عقد الأمصار، (المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع–بيروت: د.ت) ، ٦٩/١.

(٤) أبن جبير,أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي,رحلة أبن جبير(دار صادر,بيروت:د.ت)، ٢٥/١.

(٥) ابن بطوطة، محمد بن عبد الله، رحلة ابن بطوطة، (أكاديمية المملكة المغربية–الرباط: ١٤١٧هـ) ، ٣١٤/١.

(٦) البرزبجي، تريفة أحمد عثمان، إسهامات العلماء الأكراد في بناء الحضارة الإسلامية خلال القرنين السابع والثامن الهجري، (دار الكتب العلمية–بيروت: ٢٠١٠م) ، ص١٣١.

(٧) أبن كثير,عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي,تحقيق,عبد الله بن عبد المحسن,البداية والنهاية(دار هجر,بيروت:١٩٩٧م), ٢٣٢/١٧.

(٨) أبن تغري بردى,أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن اليوسف بن الدين الأتابكي النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة(دار الكتب,القاهرة:١٩٨٥م)، ١٩٦/٧.

(٩) العسلي، كامل جميل، وثائق مقدسية تاريخية، (منشورات الجامعية الأردنية–عمان: ١٩٨٩م) ، ١١٧/٣.

(١٠) قبة السلسلة: هي قبة على عمد من رخام على صفة قبة الصخرة وهي شرقيها بين الباب الشرقي ودرج البراق وعدة ما فيها من العمد الرخام ١٧ عمودا غير عمودي المحراب، وروي ان رسول الله–صلى الله عليه وسلم–ليلة اسري به رأى الحور العين مكان قبة السلسلة. ينظر: العليمي، عبد الرحمن بن محمد، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق: عدنان يونس، (مكتبة دنديس–عمان: د.ت)، ١٨/٢.

(١١) العسلي،كامل جميل, وثائق مقدسية تاريخية(منشورات الجامعة الأردنية,عمان:١٩٨٩م)، ١١٧/٣.

(١٢) ابن عبد الظاهر،محي الدين أبو الفضل عبد الله بن رشيد السعدي, الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر,تحقيق,عبد العزيز الخويطر(دار صادر,بيروت:١٩٧٦م)، ص٢٨٠–٢٨٧.

(١٣) ألكتبي،محمد بن شاكر بن أحمد, فوات الوفيات،تحقيق,علي محمد معوض وآخر(دار الكتب العلمية,بيروت:د.ت) ٢٤٤/١.

(١٤) عاشور،سعيد عبد الفتاح,الظاهر بيبرس(مطبعة مصر , القاهرة:د.ت)، ص١٥٨.

(١٥) المغلوث،سامي عبد الله, أطلس تاريخ العهد المملوكي(دار العبيكان,الرياض:٢٠١٣م)، ص١٤٨.

(١٦) عبد الوهاب، حسن، تاريخ المساجد الأثرية (مطبعة دار الكتب المصرية,القاهرة: ١٩٤٦م) ، ص١٦٨.

(١٧) رفاعي، أنصار محمد عوض الله، الأصول الجمالية والفلسفية للفن الإسلامي (المعهد العالي للفكر الإسلامي,الولايات المتحدة الأمريكية: ٢٠١٠م) ، ص١٠٩.

(١٨) العقود: عرف المسلمون أنواعاً كثيرة من العقود، ومنها: العقد نصف الدائري والعقد العادي المدبب أو ذو المركزين، والعقد المزخرف بالمقرنصات، والعقد الفارسي الذي ينتهي انحناؤه بخطين مستقيمين، والعقد ذو الفصوص العديدة. ينظر: حسن، في الفنون الإسلامية، ص٤٩.

(١٩) القاشاني: عرفت مصر صناعة القاشاني لكسوة الجدران في العهد المملوكي، ولكن هذه الصناعة لم تبلغ في مصر ما بلغته من الازدهار في بلاد المغرب والأندلس وإيران وتركيا، حيث فضل المصريون تغطية الجدران بالرخام ولم يقبلوا على استخدام القاشاني لتغطية المساحات الكبيرة، فاستعمل القاشاني في تكسيه المئذنة بجامع الناصر محمد بن قلاوون، كما استعمل لتكسيه القمة المضلعة في خانقاه بيبرس الجاشنكير، وزاد إقبال المصريين على استعمال القاشاني بعد الفتح العثماني. ينظر: حسن، زكي محمد، الفنون التشكيلية الإسلامية وتأثيرها على الغرب (وكالة الصحافة العربية,القاهرة: ٢٠٢٠م)، ص٧٧.

(٢٠) زكي،عبد الرحمن, بناة القاهرة في ألف يوم(الهيئة المصرية العامة للكتاب,القاهرة:د.ت)، ص٦١.

(٢١) المقريزي,أبو العباس أحمد ين علي,المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار(دار الكتب المصرية,القاهرة:١٩٧٢م)، ١٢١/٤، ١٢٢.

(٢٢) الورثيلاني،الحسين بن محمد، الرحلة الورثيلانيّة، (مكتبة الثقافة الدينية: ١٤٢٩هـ) ، ٣١٨/١.

(٢٣) حسن،زكي محمد,في الفنون الإسلامية(اتحاد أساتذة الرسم,القاهرة:د.ت)، ص٢٠.

(٢٤) المزررات: هي حجارة مقصوصة الأطراف تدك ببعضها بعضاً بتناوب متعاكس، وتكاد تكون عملية تزرير قطع الأحجار مقصورة على الأعتاب والعقود، وقد تستعمل أحياناً في أجزاء أخرى من البنايات كحشوات جلسة حجر المدخل. ينظر: دللي، جوزيف، العمارة العربية بمصر: في شرح المميزات البنائية الرئيسية للطراز العربي، وكالة الصحافة العربية–الجيزة: ٢٠١٨م)، ص٤٠.

(٢٥) درويش، محمود أحمد، موسوعة رشيد: التراث العمراني، (مؤسسة علوم الأمة للاستثمارات الثقافية–القاهرة: ٢٠١٧م)، ٣٢٥/٢.

(٢٦) الإيوان: عبارة عن مساحة كبيرة مغطاة بقبو أو سقف خشبي يدرس فيها إحدى المذاهب الأربعة وبمقدمة الإيوان عقد مدبب. ينظر: نجيب، التصميم الداخلي، ص٢٠.

(٢٧) عبد الوهاب،حسن, تاريخ المساجد الأثرية(مطبعة دار الكتب المصرية,القاهرة:١٩٤٦م) ٢٨٦/١–٢٩٢.

(٢٨) القباب: أخذها المسلمين عن البيزنطيين، وأحسن القباب الإسلامية موجودة بالقاهرة، وقد امتازت بارتفاعها وتناسق أبعادها وبالزخارف التي تزين سطحها الخارجي، وكانت القباب في أفريقية على شكل نصف دائرة ولم تكن لها زخارف خارجية، أما القباب في الطرز العثمانية فقد كانت على شكل نصف دائرة غير كامل كما كانت هناك غالباً قبة رئيسية تحيط بها أنصاف قباب. ينظر: حسن، في الفنون الإسلامية، ص٤٨.

(٢٩) رفاعي،أنصار محمد عوض الله, الأصول الجمالية والفلسفية للفن الإسلامي(المعهد العالمي للفكر الإسلامي,الولايات المتحدة الأمريكية:٢٠١٠م)، ص١١٠–١١٣.

(٣٠) ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٩٢/٩.

(٣١) درويش، محمود أحمد،التراث المعماري الفاطمي والأيوبي في مصر (مؤسسة الأمة العربية,القاهرة: ٢٠١٩م) ، ص٣٥١.

(٣٢) ابن تغري، النجوم الزاهرة، ٢٢٩/٦.

(٣٣) الآجر: طوب مصنوع من الطين بعد حرقه في أفران الطوب ويسمى بالطوب الأحمر، وقد انتشر في كل البلدان الإسلامية التي يصعب فيها وجود الحجر، ولقد كان استعمال الآجر في الأساس لصناعة المقرنصات فارتبط ظهوره بها، وكان يترك عادى بدون طلاء، وربما يطلى بالجص. ينظر: نجيب، لينا وآخرون، التصميم الداخلي والعمارة الإسلامية في مصر بين الماضي والحاضر (ببلومانيا للنشر والتوزيع,القاهرة: ٢٠٢٠م)، ص٩.

(٣٤) فكري،أحمد, مساجد القاهرة ومدارسها:العهد الايوبي,ط٢(دار المعارف,القاهرة:٢٠٠٨م)، ٣٨/٢.

(٣٥) درويش،محمود أحمد, التراث المعماري الفاطمي والأيوبي في مصر(مؤسسة الأمة العربية,القاهرة:٢٠١٩م)، ص٣٥٩.

(٣٦) فكري، مساجد القاهرة، ٤٤/٢–٤٥.

(٣٧) عبد الوهاب، تاريخ المساجد، ٨٥/١.

(٣٨) أبن بطوطة,محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي الطنجي,رحلة أبن بطوطة(اكادمية المملكة الغربية,الرباط:١٩٦٨م)، ٢٠٥/١.

(٣٩) الشخشيخة: هي فرق في منسوب سقف الفراغ المعماري ويسمح بعمل نوافذ علوية تسمح بخروج الهواء الساخن المتصاعد لأعلى ودخول الضوء الطبيعي. ينظر: نجيب، التصميم الداخلي، ص١٨.

(٤٠) عاشور، العهد المملوكي في مصر والشام(دار النهضة العربية,القاهرة:١٩٦٥م)، ص٣٨٧.

(٤١) ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ٩١/١.

(٤٢) حسن، زكي محمد، العمائر الإسلامية وطرزها الفنية (وكالة الصحافة العربية,القاهرة: ٢٠٢٠م) ، ص٧٠.

(٤٣) الزوايا: مسجد صغير الحجم، لا يتسع إلا لعدد قليل من الزهاد والمتصوفة، أو خلوة لأحد الزهاد ومريديهم، ومن أبرزها: زاوية الأزرق نسبة للشيخ إبراهيم الأزرق، والزاوية المهمازية نسبة للشيخ كمال الدين المهمازي. ينظر: أبو جابر، إبراهيم، قضية القدس ومستقبلها في القرن الحادي والعشرين (دار البشير,عمان: ١٩٩٧م)، ص٤٣.

(٤٤) عيد، محمد، مدارس القدس ومكتباتها (المحرر الأدبي, سوريا: ٢٠١١م) ، ص٤٦.

(٤٥) وزيري، يحيى، التطور العمراني والتراث المعماري لمدينة القدس الشريف (الدار الثقافية للنشر,القاهرة: د.ت) ، ص٩٢.

(٤٦) المواعظ والاعتبار، ٣٠٧/٤.

(٤٧) المواعظ والاعتبار، ٣٠٨/٤-٣١٠,وينظر مقال منشور على شبكة الانترنيت,أبو الفتح نصر بن سليمان بن عمر المنبجي, https//www.al-eman.com

(٤٨) ألكتبي، فوات الوفيات، ٤٠٥/١.

(٤٩) وزيري،يحيى, التطور العمراني والتراث المعماري لمدينة القدس الشريف(الدار الثقافية للنشر,القاهرة:د.ت)، ص٧٣.

(٥٠) المواعظ والاعتبار، ٣٠٨/٤-٣١٠.

(٥١) فكري، مساجد القاهرة، ٥١/٢.

(٥٢) القلقشندي,أحمد بن علي, صبح الأعشى في صناعة الإنشا(المطبعة الأميرية,القاهرة:١٩١٤م)، ٣٦٦/٣.

(٥٣) المواعظ والاعتبار، ٢٠٠/٤.

(٥٤) العناقرة،محمد, المدارس في مصر في عهد دولة المماليك(الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية,القاهرة:٢٠١٠م)، ص٣٠-٣٢.

(٥٥) موسى، عمر، دور العلم (دار المحرر الأدبي للنشر والتوزيع والترجمة, القاهرة:د.ت)، ص١٧.

(٥٦) فكري، مساجد القاهرة، ٥٦/٢-٦٠.

(٥٧) المواعظ والاعتبار، ٢١٧/٤.

(٥٨) فكري، مساجد القاهرة، ٦١/٢-٦٥.

(٥٩) تاريخ المساجد، ص١٦٦.

(٦٠) الشرقاوي، أحمد عبد الوهاب، الفنون والآداب (أمواج للنشر والتوزيع,عمان: ٢٠١٥م) ، ص٣٠١.

(٦١) المواعظ والاعتبار، ١٢٢/٤.

(٦٢) الشرقاوي،أحمد عبد الوهاب, الفنون والآداب(أمواج للنشر والتوزيع,عمان:٢٠١٥م)، ص٣٠١.

(٦٣) دهمان،محمد أحمد, معجم الألفاظ التاريخية في العهد المملوكي(دار الفكر,دمشق:١٩٩٠م)، ص٦٦.

(٦٤) صبح الأعشى، ٣٦٨/٣.

(٦٥) الحارثي، عمران القاهرة، ص٣٨١، ٣٨٢.

(٦٦) المواعظ والاعتبار، ٢٨٥/٤.

(٦٧) ابن حجر، أحمد بن علي، ذيل الدرر الكامنة، تحقيق: عدنان درويش (معهد المخطوطات العربية,القاهرة: ١٩٩٢م) ، ص٨١.

(٦٨) سريا قوس : قرية قديمة تقع شمال مدينة القاهرة على مسافة ١٨ كم ،والتي اتخذت اسم خانقاه الصوفية . المواعظ والاعتبار ،٤ /٢٩٥- ٢٩٦.

(٦٩) المواعظ والاعتبار، ٢٩٥/٤.

(٧٠) المواعظ والاعتبار، ٢٨٥/٤-٣٠٢.

(٧١) الأربطة: جمع رباط، وهي دار يسكنها أهل طريق الله، والرباط والمرابطة ملازمة ثغر العدو، وأصله أن يربط كل واحد من الفريقين خيله، ثم صار لزوم الثغر رباطا، والرباط: المواظبة على الأمر. وفي الاصطلاح: الأربطة: أماكن كان يرابط فيها الجنود استعداداً للجهاد، وبتطور العصور صار الرباط مأوى ينقطع فيه العباد للتعبد بعيدا عن زخرف الحياة، وهم من الرجال وبعض النساء المتعبدات أحياناً، وكانت الأربطة تشاد على الحدود سواء أكانت على شواطئ البحار أو في الصحراء. ينظر: ابن منظور،أبو الفضل جمال الدين بن المكرم الأنصاري, لسان العرب(دار صادر,بيروت:٢٠٠٣م)، ٨٢/٦. الشرقاوي، الفنون والآداب، ص٣٠٤. ابن دهمان، معجم الألفاظ، ص٨١.

(٧٢) المواعظ والاعتبار، ١٦٩/٣.

(٧٣) المواعظ والاعتبار، ٣٠٣/٤-٣٠٦.

(٧٤) القياسر: هي السوق المسقوفة وتحتوي على غرف ومخازن التجار ويعلوها بناء بارتفاع دورين أو ثلاثة لسكن التجار والصناع. ينظر: عاشور، العهد ألمماليكي، ص٤٦٣.

(٧٥) الحارثي، عمران القاهرة، ص٣٩١، ٣٩٢.

(٧٦) خان مسرور: منسوب لمسرور خادم من خدّام القصر في الدولة الفاطمية. ينظر: ابن تغري، النجوم الزاهرة، ٤٣/٤.

(٧٧) ألحارثي، عمران القاهرة، ص٣٩٢.

(٧٨) ابن دقمان،إبراهيم بن محمد, الانتصار لواسطة عقد الأمصار(المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع,بيروت:د.ت)، ٤٠/١.

(٧٩) المواعظ والاعتبار، ٢٨٢/٤.

(٨٠) ابن شاهين، زين الدين عبد الباسط، نيل الأمل في ذل الدول، تحقيق: عمر عبد السلام (المطبعة العهدية,بيروت: ٢٠٠٢م) ، ٢٨٤/٣.

(٨١) أمير آخور: هو المشرف على اصطبل السلطان وخيوله. ينظر: ابن دهمان، معجم الألفاظ، ص٢٠.

(٨٢) المواعظ والاعتبار، ١٦٩/٣-١٧٢.

(٨٣) المواعظ والاعتبار، ١٥٨/٣-١٦٨.

(٨٤) الأسواق: مفردها سوق، وهو موضع البيع والشراء، وتسوق القوم إذا باعوا واشتروا. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ٣٠٥/٧.

(٨٥) المواعظ والاعتبار، ١٧٢/٣.

(٨٦) ابن بطوطة، الرحلة، ٢٠١/١.

(٨٧) فرحات، أميرة الشيخ، الفاطميون: تاريخهم وآثارهم في مصر (دار الكتب العلمية,بيروت: ٢٠١٣م) ، ص٢٢٨.

(٨٨) الكيمان: مفردها كوم، وهو كل ما اجتمع وارتفع له رأس من رمل أو تراب أو حجارة أو قمح أو نحو ذلك. ينظر: يعقوب، إميل بديع، المعجم المفصل في الجموع (دار الكتب العلمية,بيروت: ٢٠١٦م)، ص٣٧٩.

(٨٩) المواعظ والاعتبار، ١٧٢/٣.

(٩٠) قاسم،قاسم عبده, عهد سلاطين المماليك(دار الشروق,القاهرة:١٩٩٤م)، ص٦٠.

(٩١) الشرابشيين: نسبة إلى الشربوش، وهو لباس رأس مثلث بدون عمامة، وقد أبطل استخدامه في عهد دولة الجراكسة. ينظر: مايو، الملابس المملوكية، ترجمة: صالح الشيتي، (الهيئة المصرية العامة للكتاب-القاهرة: ١٩٧٢م)، ص١٠١، ١٠٢؛ قاسم، عهد سلاطين المماليك، ص٦١.

(٩٢) المهاميز: جمع مهمزة، وهي: عصا في رأسها حديدة ينخس بها الحمار. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ٩١/١٥.

[٩٣] الحياصة: الحزام الذي يوضع في وسط الدابة أو على فخذيها تحت ذيلها لتثبيت السرج للركوب. ابن دهمان، معجم الألفاظ، ص٦٥.

[٩٤] العمري،أحمد بن يحيى بن فضل الله, مسالك الأبصار في ممالك الأمصار(المجمع الثقافي,أبو ظبي:٢٠٠٢م)، ٤٦٨/٣.

[٩٥] المواعظ والاعتبار، ١٨١/٣.

[٩٦] قاسم، عهد سلاطين المماليك، ص٦٢.

[٩٧] الانتصار، ٩٨/٥-١٠٢.

[٩٨] قاسم، عهد سلاطين المماليك، ص٥٩.

[٩٩] المواعظ والاعتبار، ١٧٣/٣.

[١٠٠] مجموعة مؤلفين، الحج، العلم، والصوفية: الفن الإسلامي في منطقة الضفة الغربية وغزة (المؤسسة العربية للدراسات والنشر,القاهرة: ٢٠٠٧م) ، ص١٢٦.

[١٠١] ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام (دار الكتاب العربي,بيروت: ١٩٩٧م) ، ٤٢٧/٩.

[١٠٢] صبح الأعشى، ٣٦٩/٣.

[١٠٣] رحلة أبن جبير، ص٢٤.

[١٠٤] كمال، عبد السلام، الحضارة الإسلامية ثقافة وفن وعمران (دار بروج للكتب,القاهرة: ٢٠١٧م) ، ص٩٦.

[١٠٥] فسقية: حوض من الرخام ونحوه، مستدير غالبا، تتوسطه نافورة ماء، يوضع عادة في القصور والحدائق والميادين. ينظر: مختار، أحمد، معجم اللغة العربية المعاصرة (عالم الكتب,القاهرة: ٢٠٠٨م)، مادة "فسق"، ص٣٧٧٧

[١٠٦] عيسى،أحمد,تاريخ البيمارستانات في الإسلام(دار الرائد العربي,القاهرة:٢٠٠٨م)'ص٦٦.

[١٠٧] عبد الوهاب، تاريخ المساجد، ص١٢٢.

[١٠٨] باشا، أحمد فؤاد وآخرون، المؤسسية في الإسلام: تاريخا وتأصيلا (دار السلام,القاهرة: ٢٠١٢م) ، ص١١١.

[١٠٩] المواعظ والاعتبار، ٢٦٨/٤، ٢٦٩.

[١١٠] عبد الوهاب، تاريخ المساجد، ص١٢٣.

[١١١] عيسى، تاريخ البيمارستانات، ص١١٤.

[١١٢] بلحاج، أحمد، جماليات الحمامات في الحضارة العربية الإسلامية (دار الكتب العلمية,بيروت: ٢٠١٧م) ، ص٦٤.

[١١٣] ألحارثي، عمران القاهرة، ص٣٩٤.

[١١٤] المواعظ والاعتبار، ١٤٦/٣، ١٤٧.

[١١٥] الانتصار، ص١٠٤.

[١١٦] بلحاج، جماليات الحمامات، ص٦٥.

[١١٧] نجيب، لينا وآخرون، التصميم الداخلي والعمارة الإسلامية في مصر بين الماضي والحاضر (ببلومانيا للنشر والتوزيع,القاهرة: ٢٠٢٠م) ، ص٥١.